محور الإنسان

درس اللاوعي

موضوع عن المقولة اللاوعي

عالج الموضوع التالي: " اللاوعي هو الحياة النفسيّة بذاتها وحقيقتها الجوهريّة."

أ- إشرح(ي) هذا القول ل"فرويد" وبيّن(ي) الإشكاليّة التي يطرحها. (تسع علامات)

ب- ناقش(ي) هذا القول في ضوء الدور الأساسي للوعي في الحياة النفسيّة. (سبع علامات)

ج- هل ترى/ترين أن العلاج النفسي أصبح ضرورة في حياتنا؟ علّل(ي) إجابتك. (أربع علامات)

المعالجة:

أ- مقدّمة:

شغلت مقولة الوعي، علم النفس التقليدي، كما اهتم بدراسته الفلاسفة والعلماء على اعتبار أنّه الوسيلة الوحيدة لمعرفة خفايا النفس الإنسانيّة. يحضر الوعي كلّما تفكّر الإنسان بذاته أو بالعالم المحيط، هو أساس كل معرفة إنسانيّة، بل إنّ كل نشاط إنساني يُردّ إلى الوعي ويصدر عنه. فالوعي إذًا، كان المقولة المسيطرة لفترة ممتدّة من الزمن، وكانت الحياة النفسية بأكملها مبنيّة على الوعي، أمّا اللاوعي فقد اقتصر برأيهم على الجانب الجسدي من قبيل عمليّات الجهاز الهضمي ونمو الشعر والأظافر.

وفي أواخر القرن التاسع عشر، ظهرت موقف جديد يدّعي أن ما يتحكّم بالحياة النفسية عند الإنسان هي دوافع لا واعية كامنة في أعماقه. هكذا قدّم عالم النفس النمساوي "سيغموند فرويد" نظريّة متكاملة عن اللاوعي النفسي إنطلاقًا من مواقف سابقة لعدد من المفكرين والفلاسفة مثل "لاروشفوكو" و"شوبنهاور" و"نيتشه" وآخرين اعتقدوا أن للحياة النفسية عند الإنسان جانبًا لاواعيًا دون أن يقدّموا أدلّة في هذا الشأن.

ولكن حتّى يومنا الحالي لايزال الإختلاف حاضرًا حول المقولتيْن وحول حقيقة الجانب الذي يتحكّم بالحياة النفسيّة، ولكلّ مقولة أنصارها ومؤيّدوها.

ويطرح هذا القول أهميّة مقولة اللاوعي في الحياة النفسيّة.

أما الإشكالية المطروحة فهي:

الإشكاليّة العامة: ما الذي يتحكّم بالحياة النفسيّة عند الإنسان؟

الإشكاليّة الخاصة: هل اللاوعي هو الذي يسيطر على مجمل الحياة النفسيّة، أم أنّها خاضعة بالكامل للوعي؟

الشرح:

يُعدّ "سيغموند فرويد" من أهم الأطباء النفسيين في التاريخ، ويعود ذلك لأطروحته حول اللاوعي النفسي، ومنهجه المبتكر المسمّى بالتحليل النفسي، الذي ساهم في علاج الكثير من المرضى النفسيّين، وأحدث بذلك نقلة نوعيّةً في مجاليْ علم النفس والعلاج النفسي.

يرى فرويد أنّ تقسيم الحياة النفسيّة إلى ما هو واعٍ وما هو لاواعٍ هو الفرضيّة الأساسيّة التي يقوم عليها التحليل النفسي، ومن خلاله يمكن فهم العمليّات النفسيّة المرضيّة. فالحياة النفسيّة لا تكون واعيةً دائمًا، بل تتنقّل بين الوعي واللاوعي. بدوره، ينقسم اللاوعي إلى قسميْن: نوع كامن ويسمّى "ما قبل الوعي" ويحتوي على الأفكار والذكريات التي يمكن استرجاعها ولا مانع من خروجها إلى الوعي. أمّا القسم الآخر فهو اللاوعي العميق الذي يحتوي أفكارًا عصيّةً على الوعي، كما أنّه لا يمكن الوصول إليها البتّة، هي الجانب الغامض والمظلم والسرّي في حياة كل فرد.

رأى فرويد أنّ جميع الظواهر النفسيّة سواء كانت واعية أو لاواعية، سويّة أو مرضيّة، فإنّها تصدر عن قوى أساسيّة تسمّى بالغرائز وتنبثق منها كل ظواهر الحياة. أمّا الطاقة المحرّكة لهذه الغرائز فيسمّيها بالليبيدو (Libido)، أي الطاقة النفسيّة المتعلّقة بالغرائز الجنسيّة ثم عدل عنها ليشير بالليبيدو إلى مجمل الطاقة النفسية عند الفرد.

إعتقد فرويد بأن الميل الأساسي عند الإنسان هو الرغبة الجنسيّة التي يؤدّي كبتها إلى ولادة العقد والأمراض النفسيّة. برأي فرويد، فإنّ هذه الغريزة هي التي تتحكّم بالطفل منذ ولادته، وتتموضع في مناطق محدّدة من جسمه تختلف حسب المراحل العمرية في حياة الفرد. هذه المراحل هي على التوالي:

1) المرحلة الفميّة في السنة الأولى من عمر الطفل حيث تتركّز الشهوة في منطقة الفم ويتم إشباع الغريزة من خلال الرضاع.
2) المرحلة الشرجيّة في السنتيْن الثانية والثالثة من عمره، حيث يتم إشباع الغريزة عبر التبوّل والتبرّز، كما تظهر في هذه المرحلة الميول العدوانيّة عنده.
3) المرحلة المتمركزة حول الأعضاء التناسليّة، في السنتيْن الرابعة والخامسة من العمر، حيث يبدأ الليبيدو بالتمركز في المنطقة التناسليّة. وفي هذه المرحلة تظهر عقدة أوديب أي تعلّق الطفل بأحد والديه بشكل عكسي، فيتعلّق الذكر بأمه والأنثى بأبيها.

   يرى فرويد في هذه قصّة اوديب (الذي قتل والده وتزوّج بأمّه) رمزًا لطفولة كل ذكر، إذ يتماهى الصبيّ بأبيه (أي ينسخ شخصيّة والده ويقلّدها) ويتعلّق عاطفيًّا بأمّه، فيرغب بإزاحة والده ليحلّ محلّه. كذلك الأمر بالنسبة للأنثى (عقدة إلكترا)، فتتعلّق بأبيها وتتماهى مع شخصيّة أمّها.

4) مرحلة الكمون الجنسي، والتي تمتد للسنة الحادية عشر، حيث يهدأ ضغط الليبيدو، وتتوظّف طاقات الطفل في مواضيع بعيدة عن الجنس.
5) المرحلة التناسليّة وهي المرحلة الأخيرة التي تبدأ عند البلوغ الجنسي فتبدأ مرحلة المراهقة، وفيها تظهر كل الآثار اللاواعية السابقة.

يتكوّن اللاوعي حسب فرويد في السنين الست الأولى من حياة الطفل ما يعني أن الطفولة هي الأساس التي تُبنى عليه شخصيّة الراشد، ويكون لحوادث الطفولة الأثر الكبير في تكوين الشخصيّة، كما تكون الإحاطة بهذه الحوادث، هي المدخل لفكّ رموز تعقيدات الشخصيّة والوصول لمكامن العلل والأمراض.

بنية الجهاز النفسي: بناءً على التطوّر الفردي للوجود الإنساني، تصوّر فرويد وجود جهاز نفسي مسرحه الجهاز العصبي. ويتألّف هذا الجهاز من ثلاثة أقسام: الهو، الأنا والأنا الأعلى، تصوّره فرويد على شكل بناء من ثلاث طبقات:

1) الهو: يشكل الهو (Id) الطبقة السفلى من هذا البناء، ويشير إلى عمق الحياة النفسية المكوّنة من القوى الغريزيّة اللاواعية وأهمها عند فرويد الغريزة الجنسية. إنّها منطقة لا تخضع للواقع أوللعقل أو لقواعد الاخلاق، هي فقط زاخرة بالرغبات.
2) الأنا الأعلى: يحتل الأنا الأعلى الأخلاقية (Super Ego) الطبقة العليا من البناء وتقوم مقام الضمير. تفرض الأنا الأعلى رقابة صارمة على الذات الواعية وتملي عليها أوامر رادعة وتهددها بالعقاب معبّرة بذلك عن دور السلطة العائلية في تكوين شخصية الطفل.
3) الأنا : تحتوي الطبقة الوسطى من البناء على الذات الواعية "الأنا" (Ego) الواقعة في الوسط بين ضغط الغرائز وضرورة الملاءمة مع الواقع الخارجي فهي في مسرح النزاعات الضاغطة من أسفل ومن أعلى.

الأدلة على وجود اللاوعي: قدّم فرويد عددًا من الظواهر التي تشيرإلى أن اللاوعي هو المدخل إلى تفسيرها ولا يمكن أن نجد لها تفسيرًا إستنادًا لمقولة الوعي، ومن هذه الأدلّة:

1) الحالات النفسية المرضية كالفوبيا والوسواس القهري، التي تبرز مخاوف ومبالغات غير إعتياديّة ومتعارفة، وتشكّل لصاحبها وحاملها ثقلًا يوميًّا وعذابًا مستمرًّا، إنّه يشعر أنها حالة غير سويّة ولكن يعجز عن معالجتها.
2) المواقف العاطفية الفورية والمفاجئة، كالحبّ من النظرة الأولى، أو الكره أو المواقف العدائية من شخصٍ ما، التي لا مبرّر واضح لها.
3) زلاّت اللّسان: عرّف فرويد زلاّت اللّسان أنّها كلمات تُذكر بطريقة لاواعية في مجرى الكلام، إنّها تخرج دون قصد وإرادة القائل. برأي فرويد، فإنّ زلّات اللسان تعبّر عن نوايا لاواعية. مثلاً: رئيس مؤتمر يقع في زلة لسان عندما يعلن اختتام الجلسة في لحظة افتتاحها، لقد كان بين الحضور خصوم ألدّاء سيتناولون الكلام في الجلسة، فعبّر رئيس المجلس عن موقفه السلبي اللاواعي من هذا الحضور.
4) الأفعال التائهة: هي أفعال تجري من غير قصد فاعلها وتعبّر عن الرغبة اللاواعية لصاحبها.
5) النسيان: يعود النسيان أحيانا إلى اللاوعي، فإنّ نسيان موضوع محدّد ليس دائمًا فعلاً بريئًا وغير مقصود، بل قد يخفي وراءه خلفيّة شخصيّة. يضرب فرويد مثلاً عن زوج متوتّر العلاقة مع زوجته يتلقّى منها هديّة كتاب مطالعة ويشكرها على لفتتها الجميلة ويعدُها بقراءة الكتاب، ثمّ يضعه في مكان، لكنّه ينسى تمامًا أين وضعه. تمضي شهور وتمرض والدته فتتلقى من زوجته عناية جيّدة، يفرح الرجل من فعل زوجته، وعندما يعود إلى البيت ذات مساء ويفتح جرّارًا كما لو كان تحت تأثير تنويم مغناطيسي فيقع حالاً على الكتاب المفقود، ما يعني أنّه عندما زال الجفاء العاطفي بين الزوجين، وجد الزوج الكتاب.
6) الأحلام: رأى فرويد أن تحليل الأحلام هو المدخل العريض إلى أعماق اللاوعي، فالحلم تعبير عن دوافع لاوعاية مكبوتة منذ الصغر أو في المراحل العمريّة المختلفة. إنّ الحلم يعبّر، حسب فرويد، عن رغبات الإنسان اللاواعية؛ فهو إذًا ذو معنى إنساني وشخصي. فالحلم هو حارس عملية النوم، فعندما أحلم أنّني عطشان وأنني أشرب، فإنّ ذلك يساعدني على الإستمرار في النوم إلى أن أستيقظ.

ويكون الإنسان في حال يقظته خاضعًا لرقابة هي مزيج من ضغوطات أخلاقية وإجتماعية ودينية وقواعد سلوكية، تؤدي هذه الرقابة الضاغطة إلى كبت الرغبات التي تتخفّى دون أن تختفي في وتنتظر لتعود فتظهر على صورة حلم أثناء النوم.

ب- المناقشة

ولكن على الرغم من أهمية الإنجاز الفرويدي، إلا أنّها واجهت الكثير من الإعتراضات وتلقّت العديد من الإنتقادات، ومن هذه الإنتقادات:

1) بالغ فرويد في إعطائه الأولويّة للغريزة الجنسيّة، وفي اعتباره أنّ هذه الغريزة تتحكّم بالمواليد الجدد، وربطه لتكوين الشخصيّة بعقدة أوديب، خاصّة مع اكتشاف أن المجتمعات البدائيّة تخلو من هذه العقدة
2) إنّ الإعتماد على اللاوعي في كثير من الأحيان، لم يقدّم حلًّا للمرضى النفسيين، بل عقّد الأمور وزاد من خطورتها.

وعلى المقلب الآخر، يوجد رأي آخر يعتبر أن الحياة النفسيّة مبنيّة على اللاوعي، لقد ظهرت آراء ومواقف متنوّعة من الفلاسفة وعلماء النفس مثل ديكارت وآلان وغيرهما بيّنت دور الوعي وأهميّته عند الإنسان. فالوعي أداة تفكير يساهم في إظهار عظمة الإنسان وتميّزه، ويسمح له بأن يفكّر ويفهم ويصدر الأحكام.

يبدو أن وجودنا الإنساني برمته لا ينكشف إلا من خلال نشاط الوعي، وهذا ما تأسس عليه بالفعل الكوجيتو الديكارتي. فالوعي بالنسبة لديكارت هو وعيٌ أصيل للذات ويبدأ بها، ومنها ينطلق إلى معرفة العالم المحيط. فالتفكير حسب كوجيتو "ديكارت": أنا أفكّر إذا أنا موجود، يعني أن التفكير هو وعيٌ وإدراك، والوعي والإدراك يدلان على حقيقة أنني موجود، فساوى إذا بين المعرفة والوعي والوجود باعتبار كل طرف من الثلاثة متضمنا للبقية. يقول ديكارت: "وعلمتُ أنّ هذه الحقيقة الأولى والأصيلة هي الركيزة الأساسية التي كنت أبحث عنها لإقامة البناء الفلسفي الذي أريده"، واستقرّ تفكيره عند ثنائية النفس والجسد معتبرًا أنّ معرفة النفس هي أسهل من معرفة الجسد.

أما المدرسة الظاهراتية وبالأخص مؤسّسها "هوسرل" فقد اعتبروا الوعي مرتبطا بشكل ضروري بالعالم الخارجي، فموقف ديكارت برأيهم هو انغلاق على الذات. فكل وعي هو وعي لشيء ما، فليس الوعي وعيا للذات، بل لا بد له من موضوع خارجي يقصده ويتوجه إليه ويدركه، ومن خلال هذا الوعي الخارجي يمكن بعد ذلك وعي الذات.

إلتزم "آلان" (Alain) بالعقلانية الديكارتية، فإنّ الفكر كلّه وعي ومن الخطأ الإعتقاد بوجود ذات لا واعية متخفية وراء الذات الواعية. أما "سارتر" فاعتبر أن الحياة النفسية مبنية على الذات الواعية. وينحصر موضوع علم النفس في دراسة الكائن في وضع ما، فليس إذًا وراء الوجود الواعي وجودًا آخر.

وللوعي خصائص عديدة منها:

1) الوعي هو الحدس الذي يضع الفرد في اتصال مباشر مع العالم الخارجي المحسوس، وإدراك وقائعه المختلفة، مثل الإدراك المباشر أن الطفل الرضيع لا يستطيع السير.
2) الوعي هو القدرة على الإختيار بين الخيارات المتعددة، ومثال ذلك إختيار الطالب للإجابة الصحيحة في الإمتحان من بين المعلومات الكثيرة التي يحفظها.
3) الوعي حالة مستمرة ومتواصلة وتُعتبر الوظائف الإدراكية من قبيل الإدراك الحسي والتذكر عمليات واعية، فالأول حالة وعي للحاضر والثاني حالة وعي للماضي.
4) الوعي يؤمن تكيفنا مع ما هو من حولنا (الإندماج بالبيئة)، كما في أثناء السهرات، أنا بحاجة إلى وعيي لكي أعيش حالة الفرح والترفيه أو عندما أقود سيارتي بطريقة أوتوماتيكية من دون تركيزٍ كليّ على حركاتي وفجأةً يقفز أمامي طفلٌ صغير، أجد أن الوعي يتدخل وينصب تركيزي على الوضع الطارىء لكي أتخلّص من هذه المشكلة، ويكون الوعي بالتالي قد سمح لي أن أخرج من شرودي وأن أتخلّص من المتاعب.

للوعي مستويات مختلفة حسب، متدرجة من الأقصى للأدنى، فمثلا يتدرج الوعي من الوعي القليل قبل النوم مباشرة إلى الوعي التام عند قيام التلميذ بتقديم الإمتحان، وقد قسّم "دولاي" الحالات المتدرجة ين الوعي واللاوعي إلى سبع مستويات كلّها تسمّى وعيًا مع تفاوت في نسبة الوعي.

يبقى أخيرا أن نذكر منهج دراسة الوعي، ونقصد بذلك الإستبطان، فبالإستبطان وحده ندرس الوعي ونعرفه. إنّ مفاد الإستبطان هو أنّ الحياة النفسيّة الداخليّة للفرد لا يعرفها حق المعرفة ولا يشعر بها إلّا صاحبها الذي يعيشها بذاته، إنّها دراسة الأنا للأنا. ومعنى الإستبطان أن يقوم الفرد بالتأمّل في ذاته والتبصّر بها والتعمّق فيها بغية معرفة عيوبها، فضائلها، أمراضها ونقاط ضعفها وقوّتها.

توليفة: خلاصة الكلام، تنبع الإشكاليّة من المبالغة في إعطاء الأهميّة الكبرى للوعي أو للاوعي، ونعتقد أنه لم يعد مقبولا في اللقرن الواحد والعشرين إنكار دور اللاوعي، لأنه فرض وجوده عبر العديد من الأبحاث في العلوم الإنسانية، قام بها علماء نفس ومفكّرين. ولا يمكن أن ننكر دور الوعي في حياتنا لأنه حاضر في كلّ قراراتنا واختياراتنا، وهو الذي يميّزنا عن بقيّة الكائنات الحيّة. الوعي واللاوعي يتكاملان في الشخصّية الإنسانيّة بغية خلق التوازن المطلوب بين المجاليْن

ج- هل ترى/ترين أن العلاج النفسي أصبح ضرورة في حياتنا؟ علّل(ي) إجابتك. (أربع علامات)

عناصر الإجابة:

1- تمهيد

2- الموقف الشخصي

3- التعليلات والتبريرات

الإجابة:

تمهيد: يُعتبر العلاج النفسي الطريقة الأبرز والأشهر في زمننا لمعالجة المرضى النفسيين، ومن المعلوم أن المؤسس لهذا الإتجاه العلاجي الحديث هو سيغموند فرويد مكتشف اللاوعي,

مثال عن الموقف الشخص: وإني أرى أن العلاج النفسي ليش ضرورة في حياتنا ولكن هو مختص للمرضى النفسيين فقط.

مثال على التعليل:

العلاج يستهدف المرضى النفسيين، وطرائقه العلاجية تتعلّق بالجانب اللاوعي من الحياة النفسيّة للفرد، وليس كل إنسان يعاني كبتًا على مستوى اللاوعي (تعليل أوّل)

إن الناس عمومًا يعانون من بعض العقد التي يمكن التعايش معها ولا تستدعي تدخلًا علاجيًّا (تعليل ثانٍ)

ومن الأمثلة على ذلك من يعاني الخوف الزائد عن المعقول في أمر معيّن من قبيل الخوف من المصاعد أو من الأماكن المرتفعة، ولكن شتّان بين من لا يستطيع حتى الصعود بالمصعد بشكل كلّي وبين من يناله قلق بسيط لا أكثر ويمكن مداراته وتحمّله في غضون المهمّة. (مثال)

الإجابة النهائيّة:

يُعتبر العلاج النفسي الطريقة الأبرز والأشهر في زمننا لمعالجة المرضى النفسيين، ومن المعلوم أن المؤسس لهذا الإتجاه العلاجي الحديث هو سيغموند فرويد مكتشف اللاوعي.

وإني أرى أن العلاج النفسي ليش ضرورة في حياتنا ولكن هو مختص للمرضى النفسيين فقط. **ذلك أنّ** العلاج يستهدف المرضى النفسيين، وطرائقه العلاجية تتعلّق بالجانب اللاوعي من الحياة النفسيّة للفرد، وليس كل إنسان يعاني كبتًا على مستوى اللاوعي. **أضف على ذلك** أنّ الميل ناتج عن إستمتاع، فما لا يولّد سرورًا أو لذة، فلا يولّج ميلًا، وبالتالي فما لا يعود قادرًا على إسعادنا فأننا نتركه لنميل لغيره. **ومن الأمثلة على ذلك**، من يعاني الخوف الزائد عن المعقول في أمر معيّن من قبيل الخوف من المصاعد أو من الأماكن المرتفعة، ولكن شتّان بين من لا يستطيع حتى الصعود بالمصعد بشكل كلّي وبين من يناله قلق بسيط لا أكثر ويمكن مداراته وتحمّله في غضون المهمّة.